# فكرة التربية عند السير سيد أحمد خان والشيخ محمد عبده

**د. طارق أحمد آهنغر**[1]

**ملخص**

يخطأ كثير من الناس حين يستخدمون كلمة التعليم والتربية في معنى واحد، فكثير من الناس يجعلون كلمة تربية مرادفة تماما لكلمة تعليم وبالرغم من ارتباط اللفظين ارتباطا وثيقا فإن يختلف معناهما اختلافا واضحا، إن عدم وضوح العلاقة بين مفهوم التربية ومفهوم التعليم قد أدّى إلى أخطاء في مجالات "التربية والتعليم". والمقالة هذه ستحاول توضيح الفرق بين التعليم والتربية ومساهمة السير السيد أحمد خان والشيخ محمد عبده في توضيح فكرة التربية وأصولها والطرق التنفيذية في المجالات التعليمية.

**الكلمات المفتاحية:** التعليم، التربية، السير سيد أحمد خان، الشيخ محمد عبده،

**مقدمة**

لا ينكر أحد أنّ التربية تلعب دورا هاما في إعداد رأس المال البشري الذي يسهم في عملية التنمية الشاملة، وليس من شك في أنّ رأس المال البشري هو أكبر عناصر الإنتاج قيمة وشأنا، فهو يفوق ما للموارد الطبيعية وما لرأس المال المادي من شأن في الإنتاج والتنمية، ومن هنا تهتم الدول المتقدمة بالتربية لأنها تدرك قيمتها في بناء التقدم.

**الفرق بين التعليم والتربية**

فالتعليم المقصود به هو تلقين المعلومات وتهيئة المتعلمين لاكتساب المهارات

[1] الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

وغالبا ما يكون في المدارس والمعاهد وغيرها التي يطلب أعدادا خاصا من حيث نظامها وإدارتها ومدرّسيها، ولها هدف أساسي محدد تقوم على تحقيقه وهي تعليم الأطفال والطلاب من شتى أنواع المعرفة.

أما التربية فهي عبارة عن مجموعة من التغيرات والتطورات والتوجيهات تؤثر في سلوكنا وتشكل أسلوب حياتنا وتتحكم في تفكيرنا وتحدد أنواع علاقاتنا وتحدد تصرفاتنا، فهي تشمل الحياة بأوسع معانيها، وتتناول الإنسان البشري منذ ولادته إلى وفاته، فالتربية بهذا المعنى أوسع مجالا من التعليم وأعظم أثرا في تربية الطفل وتشكيل شخصيته كما يقصد بالتربية هي العملية مساعدة الأطفال والمتعلمين على النمو المتكامل من أربعة زوايا وهي:

**١-النمو الحسي**

**٢- النمو العقلي**

**٣- النمو الجسمي**

**٤- النمو الاجتماعي**

والتربية بهذا المعنى تسمو وترتفع لتشمل جميع أهدافنا وحاجاتنا وهذا يجعله عاملا محوريا الذي لا مفر منه في حياتنا، فالتربية هي عمليه تنمية متكاملة لكافة قوى وملكات الفرد، بمختلف الأساليب والطرق ليكون سعيداً في الحياة وعضواً صالحاً في مجتمعه، وهي تشمل جميع جوانب شخصيته الروحية والعقلية والخلقية والاجتماعية والوجدانية والجمالية والبدنية..

وأما عملية التعليم فهي جزء من العملية التربوية الكاملة، وهدفها تنمية عقل الفرد وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته، ودرايته بعلم ما، أوفن ما، أو حرفة أو مهنة ما ونحو ذلك.

فيمكنا أن نقول إن عملية التربية هي أكثر وأوسع شمولية وتكاملية من عملية التعليم، إذ أن هدف التربية يتجه إلى تنمية وصقل جميع جوانب الشخصية الإنسانية بما يكوّن في المجتمع أعضاء صالحين ذوي مواهب وقدرات وخبرات وكفاءات جيدة،

متعاونين متآزرين، سعداء ذوي نظرة إيجابية للحياة، قادرين على مساعدة وإسعاد أسرهم وأقربائهم وإعانة بقية أفراد مجتمعهم، حريصين على القيام بواجباتهم الإنسانية تجاه غيرهم.

لو رأينا قائمة المصلحين والمفكّرين وخبراء التعليم والتربية وأصحاب البصيرة وحاملين الشعور السياسي الصحيح في القرن التاسع عشر لوجدنا السير سيّد أحمد خان والشيخ محمد عبده على رأسها وهما من الأشخاص الأفذاذ الذين حملوا لواء النهضة العلمية بين المسلمين في الهند ومصر.

**السير السيد أحمد خان وفكرته التعليمية والتربوية**

ولقد تغير المناخ السياسي الشعب الهندي بوجه عام وللمسلمين بوجه خاص بعد فشل الثورة الكبرى في عام ١٨٥٧م. وكان البريطانيون يربّون العداوة في قلوبهم ضد المسلمين منذ زمن، فوجدوا فرصة القصاص والانتقام بعد فشل الثورة، حين رأوا أنّ الثورة قادها المسلمون في الهند، فأصبحوا عرضة لغضبهم وقصاصهم حتى ضاقت عليهم الأرض، وخطّط الإنجليز ضد المسلمين الهنود التخطيط السياسي المضطهد كله ولم يتركوا لهم سبيل النجاح حتى أغلقت عليهم أبواب التعليم وأُبعدوا عن العلوم العصرية وضُربت عليهم التخلّف الديني والعصري، فسقطوا فريسة الجهل والجمود والانحطاط حتى رضوا عن العيش بها ومعها. وفي هذا المناخ السياسي كان من الصعب أن يخرجوا من هذه الورطة، فقام سيّد أحمد خان بعزمه المحكم وإيمانه الوثيق لإصلاح المسلمين الهنديين ولرفع مستواهم السياسية والاجتماعية، فاتخذ التعليم والتربية مفتاحا له ليفتح القفل الذي أغلق المسلمين أذهانهم، وهم لا يكاد يريدون فتحها إلا بشق الأنفس كما لا يريدون أن يتنوّروا بأنوار العلوم ويتنفسوا في الهواء الطلق، وإن عدد المسلمين في الهند وقتها كان قد جاوز السبعين مليونا بينما يعيش معظمهم في حالة من الجهل والفقر وبؤس العيش وحتى من تعلّم منهم لم يتجاوز

تعليمه من إطار تقليدي (التعليم الديني)[1]. ونظر السيد في شؤون بلاده فرأى كما يراه كثيرون من أهل البصيرة، ولكن أشعة بصره تخطَّت المعلولات إلى العلل، وانتقلت من العلل إلى كشف علاج الأمراض التي شلّت وتحولت أفكار المسلمين بالسكون، وألسنتهم بالسكوت، وأيديهم بالشلل، وأرجلهم بالقزل، حتى باتوا بلا علم ولا عمل، ونظر نظرة حكيم، فاهتدى إلى الصراط المستقيم، وما هو إلا تعميم التربية والتعليم.[2]

**فكرة التعليم عند السير سيّد**

إن السيّد أحمد خان له آراء متعددة عن التعليم والتربية يمكن تلخيصها كالآتية:

**١. التعليم وسيلة لفهم الإمكانيات والمقدّرات الإنسانية**

أجمع العلماء التربويون المفكّرون على أنّ التعليم وسيلة مؤثرة للغاية لفهم الإمكانيات الداخلية وإدراك المواهب والمقدرات التي توجد في أي فرد لتطوير شخصيته بوجه كامل، وغاية التعليم هي توفير صورة متماسكة للكون وطرق الحياة المرتبطة. وأفكار السير سيّد أحمد تتّفق مع هذه الوجهة في معناها الرئيسي الواسع، فكتب في كتبة ناقدا فيها نظام التعليم الحكومي عاضا غاية التعليم الحقيقي قائلا:

> "غرض التعليم لم يزل تمكين رجل أنّ ينمّي قواه الفكرية من كلّ ناحية لكي يقدر على مواجهة أية مواقف صعبة، ويستطيع أنّ يميّز بين الحقّ والباطل وينال مهارة تامة لأن يتأهل ويتفكّر في أسرار الطبيعة الإلهية، التعليم ينبغي أنّ يقوّي الشخصية والسلوك ويساعده في الاعتناء بنفسه ويركّز على الحياة القادمة.... التعليم ليس بشيء يدخل في الإنسان من الخارج بل إنه إطلاق إمكانياته وإعتاق ومقدراته الّتي تكون

[1] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص:١٢٧

[2] سر سيّد اور هندوستاني مسلمان، ص: ١٠٩-١١٠

كامنة في نفس الإنسان".[١]

**٢. التعليم ليس وسيلة لكسب المعاش فحسب.**

انتقد السيّد أحمد خان بنظام المدارس الوطنية التي ترتبط بالحكومة وصرّح بأن هذه المدارس لا تفي بأغراض الوقت ولا يلائم تحقيق الغايات الأصلية، هو نبّه الحكومة إلى أنّ تزوّد التعليم باللّغة الإنجليزية حيث يستفيد أهل الهند منه، وهذا لأنه رغم موقفه بأن التعليم بلغة الأمّ يجعل الطفل يتلاءم مع نشوئه العقلي والفكري بوجه أحسن. كان يشك في أنّ لغة من لغات الهند يمكن أن تصبح واسطة التعليم، كما نقد الموقف الحكومي أيضا الذي يهدف من التعليم والتربية أن يتأهل الهنديون لكسب المعاش ويحصلوا على الشهادات التي تسهل لهم الوظائف الرسمية والمناصب الحكومية العالية في الدوائر المختلفة، وهو يرى أنّ غاية التعليم ينبغي أن يكون إيقاظ القوى العقلية وإنشاء شخصية تتسم بالأخلاق الفاضلة من كل ناحية.

**٣. التعليم لازم لحصول على الحقوق الاجتماعية والسياسية**

كان سيّد أحمد يرى أنّ المسلمين الهنديين لن ينالوا حقوقهم الاجتماعية والسياسية حتى يعلمها ويتثقفوا جيدا، وكان يعرف أنّ الحقوق لا تُمنح الا لمن يعلمها ويسأل عنها ولا يطلبها، فقال في كلمة ألقاها في ٢٩ يناير ١٨٨٤م بمدينة أمرتسر:

> "مع أنّ الحكومة لم تمنحنا بعض حقوقنا حتى الآن ولن تمنحنا حتى نشكو إليها، ولكنني أعتقد أنّ رجال الحكومة سوف يضطرّون إلى منح جميع حقوقنا إذا اهتمنا بالتعليم العالي، طوعا أوكرها."[٢]

---

[١] العمري، محمّد صلاح الدين، المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، مجمع السير سيّد التعليمي، جامعة على كرة السلامية، على كره، الهند، ط:١، ٢٠٠٧ ص: ٢٥

انظر أيضا: حيات جاويد، ص: ٩٠-٩٢

[٢] مجموعة محاضرات السير سيّد، إعداد: منشي سراج الدين ص: ١٨٩، مطبع بلالي، سدهورا، ١٨٩٢.

وكان يعتقد أنّ التعليم عامل هام للاستقلال السياسي الهندي، وأن الاستقلال أو الحرية بدون التعليم لا قيمة لها. واستقلال للجاهل ظلم عظيم، والتعليم هو الذي يستطيع أن يرفع مستوى الناس السياسي والاجتماعي ويمكّنهم من الحصول على القوة المفقودة والغاية المنشودة.

**٤. التعليم والتربية شرط لازم للتقدم والتطوّر**

لا شك في أنّ معنى "التقدّم" هو المسير إلى الغاية التي حدّدتها الأمة بنفسها لنفسها، وكل خطوة تخطو الأمة إليها فتقترب بها التي تعتبر خطوة التقدم والتطوّر، وأما الخطوة التي تخطو الأمة ضد تلك الغاية المنشودة وتبتعد عنها فهي خطوة التخلّف والتراجع، فالتعليم والتربية مهم للأمة لمعرفة غايتها الصحيحة وتحديدها بعد تفكير عميق آخذة كل شيئ بعين الاعتبار. والسيّد أحمد خان كان يدرك أنّ التقدّم القومي ينحصر على التعليم والتربية كما قال: "هذا هو رأي جميع الأقوام والمفكّرين في العالم أنّ التقدّم القومي ينحصر على التعليم والتربية، فلو أنّنا نريد تقدّم بلادنا ورخاءها فعلينا أنّ نكافح ونناضل لأجل تحسين نظام التعليم القومي لتربية رجالنا وتثقيفهم في العلوم والتكنولوجيا".[١]

وقال في مناسبة أخري بمدينة عليكره:

> "حينما تعتلّ أعضاء الإنسان ويفسد التوازن في الجسم فيصيب الجسم بأمراض مختلفة وعوارض عديدة، ونفس الشيئ يصدق في القوم حينما يبدأ سقوطه فلا يقتصر على أي جانب خاص بل ينتشر في جميع نواحي الحياة والدين، والأخلاق، والتعليم، والحضارة، والسلامة، والأمانة، والمال، والرزانة، واحترام النفس، والذين يتولّون العناية بإصلاح المجتمع يدهشون ويتحيّرون ويتضايقون من أن يعالجوا الأمراض الكثيرة في حين واحد ولكنهم لما يتفكّرون ويأخذون

[١] المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، ص: ٢٥-٢٦

الأمور مأخذ الجدّ فيصلون، بعد التفكير الدقيق والدراسة العميقة إلى نتيجة أنّ التعليم وتربية الأخلاق علاج وحيد لجميع الأمراض.[١]

**٥. التعليم جسد وروحه تربية أخلاقية**

كانت التربية الأخلاقية ميزة أساسيّة لبرنامج السير سيّد التعليمي، وقد أدرك أنّ التربية الأخلاقية ظاهرة مهمّة من التعليم ويجب أن يهتمّ به اهتماما بالغا في المدراس والكليّات، وكان يريد أن يُنشأ جيل غني بجميع العلوم من المعقول والمنقول، ومثقّف بالثقافة الواسعة ومتحلّى بالأخلاق الكريمة[٢]، كما خاطب اجتماعا كبيرا في مدينة ميروت عام ١٨٨٨م قائلا:

" لا أريد أن ينشر التعليم وحده في المسلمين، بل أرغب في نشر التربية الأخلاقية معه، لأن تعليم الأطفال بدون التربية الأخلاقية لا يجدي ولا ينفع، ولا يمكن لنا أن نحصل على الثمرة التي نودّ أن نحصل عليها، بدون التربية الأخلاقية."[٣]

وقال في موضع آخر: "إن التربية الأخلاقية لبناء أي مجتمع لازم مثل الروح للجسد"[٤]

**الشيخ محمد عبده**

وكان نظرية الشيخ محمد عبده تجاه النهضة والإصلاح تختلف تماما عن الزعماء الذين اتخذوا أسلوب الثورة والنضال للإصلاح السياسي والاجتماعي في مصر. فقد رأي الشيخ محمد عبده أنّ النهوض بالأمة يجب أن يتم بأسلوب التربية والإصلاح الاجتماعي

---

[١] المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، ص: ٢٦

[٢] حيات جاويد، ص: ٤٦٥

[٣] راجع خطبة ميروت، ١٤/مارس ١٨٨٨م.

المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، ص: ٣٠

بدلا من طرق الثورة والنضال، وأنه ينبغي تثقيف الشعب وتنويره قبل أن يطالب بالثورة والحياة النيابية، فلم يتكون في الأمة الرأي العام الذي يجعلها أهلا للحكم الدستوري النيابي، وليس من الحكمة أن تعطي الرعية ما لم تستعد له، فذلك بمثابة تمكين للقاصر من التصرف بماله قبل بلوغه سن الرشد فمن يريد خير البلاء فلا يسعي إلا في إتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه.[1]

وكان الشيخ محمّد عبده يؤمن أنّ الاحتلال ليس هو علة التخلّف بل الاحتلال هو الذي من نتائج التخلّف وآثاره، وسبيل التقدم يكون عن طريق التربية ووضع البرامج الإصلاحية التي ترمي إلى رفع المستوي الاجتماعي للأمة وتحسين أحوالها في شتى نواحي الحياة.

وكان يرى أنّ التربية والتعليم هما السبيل لإيقاظ الوعي القومي للشعب وتأهيل أفراده للمساهمة في الحياة الجديدة، فبالتربية والتعليم تتجدّد حيوية الأمم وتُعيد تكوينها.

**مفهوم التعليم والتربية في مصر قبل الشيخ محمّد عبده**

كان المفهوم الشائع عن التربية في تلك الفترة يتمثل في معنيين:

**أولهما:** أنها عمليّة مرادفة لتهذيب الخلق، كان يسلك التلميذ سلوكا يتسم بالوقار والهدوء وعدم استخدام الألفاظ القبيحة، والالتزام بطاعة الأوامر وحفظ النظام.

**ثانيهما:** وهو معرفي ويتمثّل في شحن الذهن بالمعارف الموجودة في كتب التراث وتسميعها.

ونتيجة لذلك لم يكن هناك اهتمام بالتربية الجسمية والتربية الوجدانية، وأهمل شأن التوجيه الاجتماعي للتربية.

**مفهوم التعليم والتربية عنده**

---

[1] دراسة في الفكر السياسي والاجتماعي للإمام محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:١، ص: ٢٣٤

والشيخ محمّد عبده لم يتفق بمفهوم التعليم والتربية الذي كان شائعا في مصر لكونها الضيق وضاقت به مجال التربية في دائرة محدودة، ولم ينظر إلى التربية تلك النظرة الضيقة التي تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات والمعارف، وإنما نظر إليها من منظور اجتماعي على اعتبار أنّ لها قيمة في حل مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه، فالتربية من وجهة نظره هي الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وأن العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخرى في تحقيق هذه الغاية، وأهم ما برز مفهوم التربية عند الأستاذ محمّد عبده وما فيها من جوانب تجديد كما يلي:

**١. التربية عملية فردية اجتماعية**

أكّد الأستاذ الإمام محمّد عبده على أنّ التربية هي عمليّة إنماء الفرد مع توجيه هذا النمو وجهة تفيد المجتمع وفي ذلك يقول: " إن التربية هي عمليّة إعداد الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يمشون معه فإذا تربّي الإنسان أحب نفسه لأجل أنّ يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه".[١]

وتنادي التربية الحديثة بنفس هذا المبدأ فهي تنظر إلى التربية على أنها عملية تعمل على إنماء الفرد إلى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته، مع توجيه هذا النمو وجهة اجتماعية بحيث يكتسب الفرد الطابع الاجتماعي لهذا المجتمع حتى يستطيع أن يحيا فيه، وهوما يدلّ على أنّ الأستاذ كان سابقا لعصره في مجال الفكر التربوي.

**٢. التربية عملية متكاملة**

وكذلك أكّد الأستاذ الإمام محمّد عبده على أنّ " التربية ينبغي أن تكون عملية شاملة متكاملة لأن نمو الإنسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية

[١] تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج:١، ص: ٧٥١.

والنفسية في آن واحد، وهذه الجوانب يؤثر ويتأثر بعضها ببعض "[1].

ويتفق رأي الأستاذ الإمام مع المفهوم الحديث للتربية الذي يقوم على أنّ التربية عملية متكاملة لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تشمل التربية جوانب الإنسان الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية والخلقية.

**٣. التربية هي الحياة**

التربية بمفهومها الحديث هي خبرة حية يكتسبها الإنسان من خلال تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها. وقد عبر الأستاذ الإمام عن هذا المفهوم قائلا: " كل إنسان لا ينضج ولا يستو إلا من خلال تجارب الحياة وشدائدها، فالشدائد والتجارب تخلق الرجال وتصنع الأبطال "[2]

**٤. التربية عملية مستمرة**

أصبحت التربية المستمرة مطلبا هاما من طالب المجتمعات الحديثة ومبدأ هاما من المبادئ التي تأخذ بها النظم التعليمية الحديثة، حيث أصبح من الضروري للأفراد مواصلة تعليمهم لإلحاق بمطالب الحياة المتغيرة من حولهم.

وعبّر محمّد عبده عن هذه الحقيقة بقوله: ينبغي "أن يسعي الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة واستكناه الحقائق طوال حياته، وأكمل الناس علما وفهما الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم.[3]

**٥. التربية عملية متغيرة**

---

[1] محمّد عبده: تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٤، حققها وقدم لها محمّد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنثر، ١٩٨٠، ص ٦٣٣.

٢ عبده، محمّد: تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٤، حققها وقدم لها محمّد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنثر، ص: ١٠٥.

٣ نفس المرجع، ص: ٧٤٠

فالنظرة الحديثة للتربية تقوم على أنها عملية متجدّدة تتغيّر بتغير الأهداف وتغير الزمان والمكان، مما يجعلها ذات أنماط متعددة، وقد أكد الأستاذ الإمام محمّد عبده على هذه الحقيقة بقوله: " أنّ التربية وسيلة لتحقيق غرض معلوم وتتغير وسائل التربية بتغير الزمان والمكان".[١]

**أهمية التربية عنده**

تتضح أهمية التربية لدي محمّد عبده كما ذكرناها في متطلبات التعليم بأن يكون لها السبق والأفضلية على غيرها من الوسائل الأخرى في إصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وقد وُجدت هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر تأييدا قويّا لها في كتاب فرنسي أصبح الآن منسيا، لكنه أحدث ضجة كبيرة في ذلك الحين، هو كتاب "سر تفوق الأنجلوسكسون" لديمولان، وهو في هذا المؤلف يرجع أسباب استيلاء الشعوب الأنجلوسكسونية على العالم ووصولهم إلى أعلى درجات القوة والازدهار بين جميع شعوب العالم إلى التربية، حيث كان أسلوب التربية لديهم يرتكز على دعامتين هما: تدريب الإنسان على العيش في العالم الحديث، واحترام حرية الإنسان وتنمية روح الفردية لديه.

وفيما يلي آراء محمّد عبده وما تتضمنه من اتجاهات جديدة حول أهمية التربية وقيمتها:

**١ - التربية عامل هام في تحقيق التطوروالارتقاء.**

أوضح محمّد عبده "إن ارتقاء الشعوب وتطوّرها يقاس بما لدي الأمم من معارف وأفكار، فالأمة ذات البسطة في الأفكار والمهارة في المعارف هي الأقوى سلطانا وهي غالبة على سواها من الأمم."[٢]

---

[١] محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٣، الإصلاح الفكري والتربوي، ص ١٧٢.

[٢] تأريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج:٢، ص: ١٤٤.

وفي موضع آخر أشار إلى "أن مرجع الارتقاء في عادات الأمة وأخلاقها هو التربية وليس القانون، فالتربية هي التي تنمي وتصلح، والقانون هو الذي يحفظ ويحرس."[١]

**٢. التربية عامل هام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات:**

لقد تأكد في عصرنا الحالي الدور الذي تقوم به التربية في زيادة الإنتاج والدخل القومي، وأصبح ينظر إلى التربية على أنها استثمار في الموارد البشرية، وهناك كثير من الدراسات العالمية التي وجهت اهتمامها لدراسة العائد الاقتصادي للتربية، وأوضحت بما لا يدع مجالا للشك أنّ هذا العائد يفوق إضعافا مضاعفة نظيره من أي عائد آخر يأتي عن طريق أي استثمار في أي مجال آخر غير مجال التربية.

وقد فطن محمّد عبده إلى قيمة التربية في التنمية الاقتصادية وأهميتها في تنمية الثروة البشرية اللازمة لتطوير المجتمع، فعدد عددا من الثروات الطبيعية القائمة في مصر مبينا أنه لا قيمة لها ما لم يستغلها البشر الاستغلال المناسب "وماذا تصنع الوسائل المهيئة إذا لم تصادف من ينتهزها؟ وهل يوضع السيف الصقيل بلا بطل؟ كلا... فما فقر البلاد إلا قلة الراشدين فيها، وما غناها الحقيقي إلا كثرة المهندين."[٢]

وأبرز محمّد عبده نفس المعني في مقال آخر مبينا "أن الأمم لا تقدر ثروتها بما تملك من موارد طبيعية، وإنما بما تملك من ثروة بشرية متعلمة: "أليس من الواضح أنه لا دين إلا بدولة، ولا دولة إلا بصولة، ولا صولة إلا بقوة، ولا قوة إلا بثروة، وليست التجارة والصناعة هي ثروة الدولة، إنما ثروتها أهاليها، ولا تمكن ثروة الأهالي إلا بنشر العلوم فيما بينهم حتى يتبينوا طريق الاكتساب، فإن ذلك أمر خفي على ذوي الألباب فضلا عن غيرهم"[٣]

---

[١] محمّد عبده، المدارس الأميرية، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٣، ص:١١٠

[٢] تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج:١، ص:٤٣

[٣] نفس المصدر، ج:١، ص:٤٢

### ٣. التربية ضرورة لإرساء الديمقراطية السليمة

تحرر التربية الإنسان من قيود العبودية والجهل، ولا يمكن أن تعمل الحرية أو الديمقراطية في ظل الأعين أو الفقر الثقافي، ولا يمكن أن نتصور شخصا جاهلا يمارس بنجاح حقوقه السياسية في الانتخاب والتصويت أو إبداء الرأي، وهذا بالطبع يبرز أهمية التربية في تكوين المواطن الحر المستنير القادر على المشاركة الواعية في تقدم بلاده.

وقد أكد محمّد عبده على قيمة التربية في إرساء قواعد الديمقراطية، فقد أوضح قائلا: "أن الديمقراطية والحياة النيابية لا يمكن أن تنتشر في المجتمع الجاهل، فلا بد أن يسبق التعليم الديمقراطية، فالتربية والتثقيف هما السبيل لتكوين الرأي العام، ومتي تكون الرأي العام سهل الحصول علي الحياة النيابية والدستورية فالمعهود فيه في سير الأمم وسنن الاجتماع، أن تقييد سلطة الحكومة وإلزامها بالشورى والمساواة بين الرعية، إنما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا إذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة، وصار لهم رأي عام، وليس من الحكمة أن تعطي الرعية ما لم تستعد له، فذلك تمكين للقاصر من التصرف بماله قبل بلوغ سن الرشد".[١]

من خلال استعراض أهمية التربية عند الأستاذ الإمام وما تطوي عليه من أفكار جديدة سبق بها عصره يتضح لنا إجماعه على أنّ التربية يجب أن يكون لها السبق والأولوية على غيرها من الوسائل الأخرى في تطوير المجتمع وتحقيق استقلاله وهورأي يحتاج إلى مناقشة وتحليل.

### خاتمة

لقد اتضح لنا من خلال ما عرضناه في السطور السابقة أنّ دعوة التعليم والتربوية لسيّد أحمد خان والشيخ محمّد عبده تقوم في جوهرها على أساس العقل وتحكيمه في كافة المجالات وتمكينه من أداء دوره كاملا في هذه الحياة حتى يمكن للأمة

[١] محمّد عبده، الثوري والقانون في الوقائع المصرية، عدد ١١٤٢ في ١٩ يونيو ١٨٨١ .

أن تنهض من كبوتها، وتسير في طريقها بخطوات ثابتة متحررة من ظلمات الجهالة والخرافات والأوهام متسلحة بالعلم. فالتعليم والتربية لا بد من أن تقوم بالعلم الذي يكتشف بالشواهد والبراهين والدلائل الخالية من المعتقدات السلوكية والغريضة الوطنية.

فالسير السيد أحمد اهتم اهتماما بالغا بالتعليم الحديث وأكّد أنّ التقدّم القومي ينحصر على التعليم والتربية، فإذا أردنا تقدّم بلادنا ورخاءها فعلينا أن نكافح ونناضل لأجل نظام التعليم القومي لتربية رجالنا وتثقيفهم في العلوم والتكنلوجيا

وأما الشيخ محمّد عبده فهو لم يكتف بمفهوم التربية الضيقة الذي كان شائعا وقتئذ في مصر وضاق به مجالها في دائرة محدودة تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات والمعارف، وإنما نظر إليها من منظور اجتماعي اعتبارا أنّ لها قيمة في حل مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه، فالتربية من وجهة نظره هي الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وأن العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخرى في تحقيق هذه الغاية.

والإصلاح عندهما الإصلاح العقلي بالتثقيف والتهذيب، والنظر إلى الدين نظرة سماحة ويسر، والاستقلال يتبعه طبعا، فلا استقلال لجاهل ولا مخرّف، إنما الاستقلال لمن يعرف بالشؤون الدينة والعلوم العصرية من طبيعة، وكيمياء، ورياضة وفلك، ونفس واجتماع، ونظام الحكم والإدارة وكل شيء أتت به المدنية الحديثة.

**مصادر المراجع:**


١. محمّد عبده، الثوري والقانون قي الوقائع المصرية، عدد ١١٤٢ في ١٩ يونيو ٨٨١ .

٢. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج:١، ص: رضا، رشيد: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ط: ٢، عدد أجزاء:٣، دار الفضيلة، القاهرة ٢٠٠٦.

٣. محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٣، الإصلاح الفكري والتربوي.
٤. عبده، محمّد: تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٤، حققها وقدم لها محمّد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٥. دراسة في الفكر السياسي والاجتماعي للإمام محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:١
٦. العمري، محمّد صلاح الدين، المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، مجمع السير
٧. سيّد التعليمي، جامعة على كرة السلامية، على كره، الهند، ط:١، ٢٠٠٧
٨. أدينيس وخالة سعيدة، ديوان النهضة الإمام محمّد عبده، ط: ١، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٣م
٩. إسماعيل، سعيد: الفكر العربي الحديث، مطبع عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧م.
١٠. أمين، أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١١. رضا، رشيد: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ط: ٢، عدد أجزاء:٣، دار الفضيلة، القاهرة ٢٠٠٦.
١٢. عبد المقصود محمّد فوزي: الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمّد عبده وآلياته تطوير التعليم، جامعة الفيوم.
١٣. عبده، الشيخ محمّد، الإعمال الكاملة للإمام الشيخ محمّد عبده، تحقيق وتقديم: عمارة، محمّد، ط:١٩٩٣،١، دار الشروق - بيروت.
١٤. العراقي، العاطف: الشيخ محمّد عبده مفكّرا عربيّا، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، ١٩٩٥م.

١٥. العمري، محمّد صلاح الدّين: المختار من مقالات السير سيّد أحمد خان، ط:١ ملتزم الطبع والنشر، على كره- الهند، ٢٠١٠.
١٦. العمري، محمّد صلاح الدين، المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، مجمع السير سيّد التعليمي، جامعة على كرة السلامية، على كره، الهند،ط:١، ٢٠٠٧
١٧. العمري، محمّد صلاح الدين، سيّد أحمد خان حياته وأفكاره.
١٨. . مجموعة محاضرات السير سيّد، إعداد: منشي سراج الدين ص: ١٨٩، مطبع بلالي، سدهورا، ١٨٩٢.

**المراجع الأردية**

١. إكرام، محمّد: موج كوثر، لاهور، ١٩٧١ء
٢. حالي، الطاف حسين، حيات جاويد، ط:٢، ترقي اردو بيورو، نئ دلهي،٢٠٠٠ء
٣. الحق، عبد: مطالعه سر سيد أحمد خان، ايجوكيشنل بوك هاوس، على گڑه، ٢٠٠٨ء
٤. خان، سيّد أحمد: مجموعة محاضرات السير سيّد، إعداد: منشي سراج الدين، مطبع بلالي، سدهورا، ١٨٩٢.
٥. سهارنپوري، محمد حفيظ الرحمن: أخلاق اور فلسفة أخلاق، فاروقي پريس، دلهي، ١٩٥٠ء.
٦. لون، عبد الحميد: إمام محمد عبده حيات وخدمات، تكبير پبلكيشنز، گاوكدل سرينگر،٢٠١٤،
٧. نقوي، نور الحسن، سر سيد اور هندوستاني مسلمان، ايجوكيشنل بوك هاوس، على گڑه.